خطاب مفتوح الى المعارضة العراقية

اود ابتداءً ان القول بانني مؤمن بانتمائي العراقي والعربي والاسلامي، ولا اجد اي غضاضة او تناقض بينها اطلاقاً. وانطلاقا من هذا المفهوم اتوجه الى العراقيين في المهجر -وانا احدهم- الى المصارحة بشأن مصير وطننا وهموم شعبنا.

ان تجربتي السياسية قد لا تختلف عن تجربة الكثير من ابناء العراق الذين انغمروا في السياسة، لقد واجهت الفصل والحرمان من الدراسة عام 1956 لمشاركتي بالتظاهر ضد العدوان الثلاثي على مصر، وانتهى بي الامر في التوجه الى لبنان لمواصلة الدراسة، وهناك مرة اخري وجدت نفسي في العام 1958 مع اخوة لي نُطرد من الدراسة لمشاركتنا في تظاهرة لدعم الجزائر في حربها ضد الفرنسيين. وعندما انتقلت الى العراق بعد قيام ثورة 1958 شاركت في العمل السياسي، كما شاركت وبلا ريب في صنع الاخطاء التي ارتكبتها الحركة السياسية الوطنية انذاك وأعني تكريس الانقسام والتحزب الضيق والتآمر بدلا من سلوك العمل الديمقراطي والدعوة اليه. ان كافة الاحزاب السرية العراقية التي ظهرت الى العلن بعد ثورة 1958 جسدت ممارسةً وسلوكاً عدم ديمقراطيتها و قصورها السياسي في التصدي للمسؤولية الوطنية. وعند اختلافنا مع حكم عبد الكريم قاسم لجأنا الى التآمر وتدبير الانقلابات العسكرية بالتعاون مع مصر الناصرية، الامر الذي انتهى بنا الى مجيء البعث الى الحكم في عام 1963، ومرة اخرى وجدت نفسي مع عناصر اخرى من القوميين العرب نتأمر ونستعين بالعسكريين للاطاحة بالحكم بدلاً من مد الجسور والعمل في سبيل ترسيخ الحياة الديمقراطية، الامر الذي ادخلني السجن وتعرفت عن قرب عن معنى التعذيب للمرة الاولى. ثم سقط نظام البعث الاول على يد العسكريين واسقَطنا بذات الوقت امكانية العمل الديمقراطي في العراق.

كانت الاحزاب الوطنية في العراق تختلف وتتصارع وتتنازع بعضها مع البعض الآخر، لكن، وباعتقادنا، كانت دوافعها الاساسية حرصها واخلاصها للوطن ودحر كل الأفكار التي حاولت التفريط باستقلاله السياسي وحرية شعبه ووحدة اراضيه، حسب منظورها للأمور. وان شرعية ثورة 1958 تستند الى هذا العامل تحديداً اي تحرير الوطن من ربقة السيطرة الاجنبية، وليس لانها حققت الديمقراطية في العمل السياسي او التنمية الاقتصادية الامر الذي لم يحصل.

وأجدني اليوم، والكثير من امثالي، نعيش في الغربة ليس بحكم الاختيار انما نتيجة الاختلاف مع نظام الحكم القائم في العراق و في اسلوب الحياة السياسية في الداخل التي تفتقر الممارسة الديمقراطية والتسامح. والاختلاف كما جاء في الحديث الشريف بين ابناء الامة الواحدة رحمة، ما دام هناك التزام بثوابت لا جدال او خلاف عليها، إلا وهي قدسية الوطن.

أود ان احدد ما المقصود بهذه الثوابت. أنها اولا واخيراً وبدون ادنى تجزئة : وحدة وحرية واستقلال الوطن، وبعد ذلك لنا ان نختلف ونتصارع على شكل النظام الواجب اعتماده واسلوب التعامل مع الناس، واسس الحكم فيه فيما ان كانت تعددية ام حزباً واحداً، اسلامية او علمانية، اشتراكية او راسمالية، دكتاتورية او ديمقراطية ؟

بعد هذه التوطئة الموجزة عن مسيرة العمل السياسي في العراق في تلك الحقبة، اود ان اسأل اين تقف المعارضة العراقية من الحرب الدائرة ضد وطننا، العراق ؟؟

انني لا اتوجه بكلامي هذا الي تلك العناصر التي سبق لها ان حاربها الشعب لألتصاقها بالاستعمار البريطاني انذاك. فهي على اقل فرض تدافع عن مواقع خسرتها منذ اكثر من ثلاثين سنة وتجد فيما يحصل اليوم في العراق فرصتها للعودة للحكم على حراب ودبابات امريكا وقوات الاطلسي، ولو ادى ذلك الى تدمير العراق وذبح نصف شعبه. لان مصالحها مرتبطة بالغرب. والعراق بالنسبة الى بعضها ليس اكثر من بضاعة تباع لامريكا مقابل عمولة مدفوعة الثمن مقدماً. وليس غريباً ان تقف بعض هذه العناصر مع السعودية اليوم، في الوقت الذي كانت حليفة لايران بالامس القريب.

كما انني لا اتوجه لتلك العناصر العراقية التي فرض عليها التغرب وظروف الحياة الاقتصادية ولقمة العيش في الرضوح لارادة الدول التي لجأت اليها، خاصة في بعض البلدان العربية. حيث ان سياسة التصدير المتبادل للمعارضة بين الدول العربية ذات الانظمة الدكتاتورية افقد هذه المعارضة مصداقيتها. وهذا ينطبق بالذات على العناصر والاحزاب العراقية التي لجأت الى اقطار عربية او غير عربية تفتقد الى الديمقراطية بل ان فيها انظمة تمارس، ولو بدرجات متفاوته،ذات الممارسات الارهابية والدكتاتورية على شعوبها، ان فاقد الشيء لا يعطيه. وخير مثال على فقدان الارادة الحرة لمثل تلك التنظيمات العراقية العاملة في الخارج. انها لم تستطع الاتفاق على برنامج عمل حدٍ ادنى الى الان. ومن المفارقات ان اجتماع دمشق في كانون الاول الماضي الذي حضره 17 تنظيماً حزبياً عراقياً معارضاً كان الاول من نوعه من حيث اتفاقه على اصدار بيان مشترك، لكن وبعد مضي عدة اسابيع على العدوان على العراق لم تستطع تلك الاحزاب الاتفاق على موقف وطني موحد من الحرب ضد العراق. ان الاحزاب العاجزة عن اتخاذ موقف صريح وواضح من العدوان على وطنها هي احزاب على احسن تقدير تفتقد الى الارادة الحرة المستقلة. كما ان كثرتها العددية لا تعبر عن قوتها بقدر ما تؤكد تشتتها وتحولها الى دكاكين سياسية. ان هذه الاحزاب لا تملك حق الوصاية على العراقيين اطلاقاً، وان كان لها الحق كل الحق في ان تعمل وتشارك في البديل السياسي حسب قناعاتها.

لذا فإني اتوجه الى الالاف من العراقيين في المهجر، الذين يشدهم الحب والحرص على وطنهم وليسوا طرفاً في اية لعبة سياسية مدفوعة الثمن من دول اجنبية او عربية حليفة لامريكا، واقول:

- ان الحقد لا يمكن ان يكون اساساً لبناء سياسة وطنية لخدمة أغلبية ابناء الشعب. ومهما يكن الاختلاف مع الحكم فيجب ان تكون الاوليات واضحة وصريحة. الوطن اولاً وشكل او طبيعة النظام السياسي ثانياً.

- ان امريكا تهدف الى تحطيم قدرة العراق الاقتصادية و العسكرية وتحويله الى كيان ضعيف ممزق مهدد في وحدته ووجوده، وفاقد للأرادة الحرة المستقلة وبالنسبة لامريكا فان هذا امر مطلوب بغض النظر عمن يحكم العراق. ان اسلوب الغزو العسكري الامريكي للعراق وتدمير البنى الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية اولا قبل التوجه الى الكويت او حتى فسح المجال لأعطاء العقوبات الاقتصادية الفرصة الكافية، يعكس هذه الحقيقة وما دعوى "تحرير" الكويت الا قميص عثمان من نسج امريكي.

- ان للحرب نتائج وحقائق جديدة سواءً رضينا ام ابينا وعلينا التعامل مع هذه الحقائق لا ان نضيع في الأوهام او التمنيات. اول هذه الحقائق ان العراق صمد عسكريا بشكل لم يتوقعه حتى الاصدقاء [أشارة لصمود العراق امام القصف الجوي الذي استمر فيما بعد 40 يوماً]. وعلى حد تعبير احد المعلقين الغربيين «ان حرب العراق انهت حروب الايام الستة في الشرق الاوسط». كما اثبتت الحرب ان العراق لم يخترق من قبل اجهزة المخابرات الاجنبية، أضافة الى ان صمود العراق هز ضمير العالم العربي والاسلامي الذي طالما خُدر واستضعف من قبل دول العدوان الغربي. وما يخاف منه الغرب الان هو يقظة الشعوب العربية والاسلامية وانتفاضتها ضد الاستعمار والهيمنة الاجنبية والاحتقار المستمر لأمتنا العربية والاسلامية. ان الجماهير العربية والاسلامية التي نزلت للشارع هي قوتنا ورصيدنا للمستقبل، ولقد منحها صمود العراق الايمان بامكانية النصر. بينما الحكومات العربية المتحالفة مع امريكا تعيش حالة رعب بسبب استمرار هذا الصمود خوفاً من غضب شعوبها. لا تجتمع امة على باطل وهذا هو قوة العرب في مواجهة امريكا، وليس من المقبول ان يخرج اي عراقي باسم اي حجة على هذا الاجماع.

- هناك من يبرر عدم الوقوف علناً مع العراق وشعبه في الصراع ضد امريكا بحجة ان الحرب سيخسرها صدام عسكريا وبالتالي العراق، فيفضل ان إلا يجد نفسه في مواقع الخاسرين فيما بعد. ان هذا موقف انتهازي لا ادري كيف يبرر نفسه امام ضحايا الشعب والجيش العراقي وكيف يأمل ان ينال حبهم او تقديرهم في المستقبل!!

- من المستفيد من سقوط العراق عسكريا اليوم ؟؟ قطعاً ليس شعب العراق، فقد بدأنا نسمع باصوات تركية تطالب باجزاء من العراق. كما تحضر السعودية وسوريا اسماء عراقية ارتضت التبعية، ليتم تنصيبها على العراق بحراب الامريكان. ولكن تبقى بدون شك اسرائيل المستفيدة الاولى من هذا السقوط، وكذلك امريكا التي ستنفرد بفرض هيمنتها على المنطقة، بالتعاون مع عرب امريكا. ويبقى السؤال بعد ذلك : اي مستقبل بعد هذا لابناء شعبنا ؟

- ان المعالم الوطنية الثابتة في تاريخ العراق السياسي الحديث هي تلك المواقف التي اتخذت ضد السيطرة الاجنبية، كما تمثلت في ثورة العشرين و حركة الضباط في 2 مايس/ ايار 1941 ضد القوات البريطانية. وعلى الرغم

من سقوط الثورتين بحراب الاجنبي، إلا انهما اغنيا النضال الوطني العراقي الذي تكلل اخيراً بالانتصار في ثورة 1958. ومهما تكن نتيجة الحرب الدائرة الان فانها ستبقى تمثل الارادة الوطنية في مواجهة الاستعمار الجديد، ومصير المتعاونين مع الغزاة الجدد سيكون كمصير خصوم ثورة العشرين وحركة مايس 1941.

- ختاماً اعطتنا التجربة السوفيتية درساً بليغاً، عندما وقف الشعب السوفيتي مع النظام بقيادة ستالين في مواجهة الغزو الالماني خلال الحرب العالمية الثانية. وسقط من اجل استقلال وحرية وحدة الاتحاد السوفيتي اكثر من 22 مليون مواطن على الرغم من ان التاريخ كشف عن معاناة ومعارضة الكثير من السوفيت لقيادة ستالين. ان المطالبة بوقف الحرب العدوانية على شعبنا والتضامن مع شعبنا العراقي هي دفاع عن العراق وليس عن فرد او نظام.

- السؤال الاخير : هل الاختلاف مع نظام الحكم يبرر السماح والسكوت على أحتلال الوطن وتدميره من قبل اكبر ماكنة عسكرية في العصر الحديث ؟؟ ياترى هل ستسمح امريكا بمجيء نظام ديمقراطي !! ان الرهان على امريكا هو رهان خاسر ولا يجوز التفريط بشعبنا باسم التعاون مع الغرب.

ان الموقف من هذه الحرب ضد شعبنا هو المحك الحاسم لمصداقية واخلاص اي قوة سياسية عراقية في الخارج تتصدى للعمل السياسي العراقي او تدعي تمثيل الشعب.

لندن 11 شباط/ فبراير 1991